الإسلام دين الحق جاء به الأنبياء جميعًا

إعداد الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل سُنة ماضية، قال الله تعالى مسليًا فؤاد نبيه صلى الله عليه وسلم: «وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون» (الأنعام: ١١٢)؛ أي: كما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويؤذونك، فقد جعلنا لكل نبي قبلك أعداء فلا يحزنك ذلك.

وقال تعالى: «وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدوًّا من المجرمين وكفى بربك هاديًا ونصيرًا» (الفرقان: ٣١)، وقال تعالى: «ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون» (النمل: ٤٥)؛ فقد كانوا فريقًا واحدًا، فلما بعث الله فيهم نبيه صالحًا عليه السلام صاروا فريقين؛ فريق الحق، وفريق الباطل. ووقع الصراع المحتوم.

هكذا اقتضت سنة الله عز وجل منذ خلق آدم عليه السلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، أن يكون الصراع بين الحق والباطل مستمرًا، والخصومة دائمة تارة باللسان، وتارة بالسيف والسنان، والحرب سجال، ولكن العقبى للحق والعاقبة للمتقين.

إن الإسلام هو دين الله الحق، الذي لا حق غيره، وهو شامل لكل ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم، في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الإسلام هو دين الله الذي لا دين له سواه، ولقد تكفل الله سبحانه بنصره وتمكينه وإظهاره على الدين كله؛ فالله سبحانه وتعالى لم يُنزل ديانات مختلفة، وإنما أنزل على عباده المرسلين دينًا واحدًا وهو الإسلام. قال تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام» (آل عمران: ١٩).

ولقد جاء بهذا الدين الواحد جميع رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام.

جاء به نوح عليه السلام: قال تعالى: «واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون ٧١ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون

Upload by : altawhedmag.com

مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (يونس: ٧١- ٧٢).

وجاء به إبراهيم عليه السلام: قال تعالى: «وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٢).

وجاء به يعقوب عليه السلام: قال تعالى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٣).

وجاء به لوط عليه السلام: قال تعالى: «قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ٣٣ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» (الذاريات: ٣١-٣٦).

وجاء به يوسف عليه السلام: قال تعالى: «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ» (يوسف: ١٠١).

وجاء به موسى عليه السلام: قال تعالى: «وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» (يونس: ٨٤).

وهو دين أنبياء بني إسرائيل: قال تعالى: «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (المائدة: ٤٤).

وهو دين سليمان عليه السلام: قال تعالى: «إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» (النمل: ٣٠-٣١). وقال سبحانه: «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» (النمل: ٣٨). وقال سبحانه: «فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» (النمل: ٤٢).

وهو دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وحوارييه: قال الله تعالى: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» (آل عمران: ٥٢). وقال سبحانه: «وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ» (المائدة: ١١١).

وقال سبحانه: «قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (غافر: ٦٦). وقال سبحانه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (المائدة: ٣).

فالقرآن الكريم يُقرّر في وضوح كامل أن الإسلام دين أهل السماوات والأرض: «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ» (آل عمران: ١٣).

والإسلام في معناه هو الاستسلام والخضوع والانقياد لله رب العالمين. وهو مجموع ما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والأحكام التي تنظّم علاقات الأفراد والأحكام المتعلقة بالحكم والاقتصاد والموارد المالية.

فهو بمثابة النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان كما جاء به الرسول.

وأسس الإسلام ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري في قوله: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا».

دين الإسلام مبني على أصول الإيمان المذكورة في قوله تعالى: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (البقرة: ١٣٦).

فهذه الأصول العظيمة التي أمر الله عباده بها هي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وهي تحوي على أجل المعارف والاعتقادات من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه على ألسنة

Upload by : altawhedmag.com

رسله، وعلى بذل الجهد في سلوك مرضاته.

والمقصود: أن عقائد هذا الدين هي التي تزكو بها القلوب وتصلح الأرواح، وتتأصل بها مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

وقد هيَّأ الله لهذه الشريعة أن تكون خاتمة الرسالات والشرائع الدينية بما حباها من يسر وسماحة في مقاصدها العامة التي يجب تحققها في جميع مجالات التشريع الإسلامي.

إن هذا الدين أمر بمصارعة الباطل في حنايا النفس الإنسانية وفي داخل المجتمع المسلم كما أمر بمصارعة الباطل في معاقله، وهي تلك المجتمعات التي تقيم حياتها بعيدًا عن هَدْي السماء.

لقد كان الإسلام دينًا زاحفًا يهاجم الجاهلية في معاقلها، وكانت ثقافته ثقافة زاحفة أيضًا، وقد كان تأثير الإسلام وثقافته في العالم كله تأثيرًا كبيرًا، وكان همّ كثير من الأمم كاليهودية والنصرانية والمجوسية حماية مجتمعاتهم من هذا الدين الآسر الزاحف، ثم حاولوا مهاجمة الإسلام، وقذف النصارى بمئات الألوف من أبنائهم في هجمة شرسة على معاقل الإسلام، ولكن المسلمين أطاحوا بهم، وردّوهم على أعقابهم بعد جهاد مرير، وتلك الحروب هي التي عرفت بـ«الحروب الصليبية» في التاريخ.

إن العداء بين الحق والباطل عداء قديم وباقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمنذ فجر الرسالة المحمدية، ومؤامرات الأعداء لا تلبث الواحدة تلو الأخرى في الكيد لأتباع الله الموحدين، قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة: ٢١٧)؛ يقول أحد المفسرين: إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين.

وتتنوع وسائل قتال الأعداء للمسلمين وأدواته ولكن الهدف يظل ثابتًا، أن يردوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح استخدموا سلاحًا غيره. ولكن هيهات هيهات، فقد قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال: ٣٦).

ولقد مرت على الأمة الإسلامية أحقاب مظلمة، ورزايا مهولة، سجّلها التاريخ بمداد الدماء الغزيرة تعرَّض المسلمون فيها لهجمات وحشية وإبادات جماعية تشيب لها الولدان، فيها من التفنن في القسوة ما يندر وجود مثله في تاريخ البشرية.

لقد مرت بالمسلمين محَن عظيمة حتى في أيام النبي صلى الله عليه وسلم حاول اليهود والمنافقون قتله، وجاء أبو عامر الفاسق برجال معه واختبأ حول مسجد الضرار ليقتلوا النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم، وعلم النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بوحي من السماء فأمر بإحراق مسجد الضرار وعلم أبو عامر بهذا الأمر فهرب هو ومن معه.

ومن قبل ذلك حاول المشركون قتل النبي يوم أحد وغيرها وحيكت المؤامرات بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى ارتدت الجزيرة العربية كلها إلا المدينة ومكة والطائف، ووقف الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقفة الشجاع المؤمن الثابت.

لقد لاقى الصِّدّيق حين ارتد العرب ما تضعضع له الجبال الرواسي. لله درّه وهو يجهز جيش أسامة ويبعثه والعرب من كل حدب وصوب تكاد تفتك بأهل المدينة! لله درّه وهو يقول: «والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاربتهم على منعه».

كيف استطاع في أقل من سنتين أن يحارب جيوش المرتدين بعد أن كانت مُحاصرة للمدينة، وقد نهاه كبار الصحابة قبلها عن حربهم، فكيف يقوم في وجه أكثر العرب آنذاك.

وبعد هذا لم يَمُت إلا وجيوشه تحاصر أعظم إمبراطوريتين في ذلك الوقت، وتنزل بها الهزائم.

كيف استطاع أن يُنجز ما ظنّه الناس خيالًا لا يُنْجَز. إنه الإسلام العظيم.

ولقد تمّت إرادة الله فظهر هذا الدين على الدين كله، فدانت له معظم المعمورة على مدى قرن من الزمان.

فلله الحمد والمنة والثناء الجميل.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com